فقالوا محمد والخميس يعنون الجيش فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم سار من تلك النواحي من قبائل اسد وغطفان ليظاهروا اليهود فالقى الله الرعب في قلوبهم فرجعوا ثم هموا ان يخالفوا الى المدينة واهاليهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود وفي ذلك قوله وكف الله ايدي الناس عنكم ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصون خيبر يفتتحها حصنا حصنا فافتتح الاحصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة رضي الله عنه القيت عليه رحا فقتلته ثم القموص حصن بني ابي الحقيق ومن سباياه صفية بنت حيي جاء بها بلال وباخرى معها فمر بها على القتلى فلما راتهم صاحت التي مع صفية وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وقال لبلال انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما ثم افتتح صلى الله عليه وسلم حصن الصعب بن معاذ ومنه شبع الجيش طعاما وودكا بعد مخمصة شديدة ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حصنيهم الوطيح والسلالم وكانا اخر حصونهم افتتاحا واوسعها اموالا واكثرها قتالا فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة وكان شعار المسلمين يا منصور امت امت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته شقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ الراية ابو بكر رضي الله عنه وقاتل قتالا شديدا ثم رجع ولم يفتح عليه ثم عمر كذلك وكان الفتح على يد علي رضي الله عنهم اجمعين ورويناه في الصحيحين من طرق ان عليا رضي الله عنه كان قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمد فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

فبات

فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما احببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطوها فقال اين علي بن ابي طالب قالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وفي رواية عن سلمة فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح الله عليه وروي انه لما دنا من حصنهم اشرف عليه رجل من اليهود فقال من انت فقال علي فقال اليهودي علوتم وما انزل الله على موسى ورويناه في صحيح مسلم انه خرج اليه مرحب وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

اذا الحروب اقبلت تلهب ... فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه

انا الذي سمتني امي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

اوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وكان مرحب قبل ذلك قد بارز عامر بن الاكوع فرجع سيف عامر عليه فقتله فقال الناس حبط عمله قال سلمة رضي الله عنه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال كذب من قال ان له لاجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله وروي ان عليا يومئذ بارز يهوديا مرحبا او غيره فضرب اليهودي ترس علي فطرحه من يده فتناول علي رضي الله عنه بابا كان عند الحصن فترس به فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه قال ابو رافع لقد رايتني في نفر سبعة انا ثامنهم نجهد ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه ثم برز بعد مرحب اخوه ياسر فخرج اليه الزبير رضي الله عنه فقالت صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يا رسول الله فقال ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير رضي الله عنه قلت في سيرة ابن هشام روايته عن ابن اسحق ان قاتل مرحب محمد بن مسلمة الانصاري